المَقْطَعُ الرَّابع: شُعُوب العَالم

النّص المنطوق

السند : مفاخر الأجناس

المرجع : ساعات بين الكتب - عباس محمود العقاد.

الفخر بالأجناس قديمٌ، لم تخل منه أمّةٌ ولا قبيلة، فما من جيل من النّاس إلاّ وله فضائل يدعيها، وأنساب يرتفع بها أحيانا إلى آلهة السَّماء، وأحيانا إلى أعاظم القدّيسين فضلاً عن المناقب والصِّفات التي لا شريك له فيها من أجيال الأرض أجمعين و لا غرابة في هذه الدَّعاوى إذا سوَّغتها ظواهر الأمّة وساندتها القوّة والثروة والكلمة الغالبة.

ولكنَّ الغريب أن تشيع هذه الدَّعاوى بين أممٍ، لا قوة لها ولا مال ولا غلبة ... وأنّها ربما كانت في هذه الأمم أكبر مزعمًا، وأشدُّ غرورًا مما تكون في غيرها ! كأنّها هي عوض عما فقدته الأمة من دواعي الفخر الصّحيح، وعزاء ما تصبو إليه من العزة والكرامة، وهي على كل حالٍ أنانيّة قومية تجري على وتيرة الأنانيّة الفرديّة في الظهور أو الضمور.

كان المصريّون يرون أن المصريَّ هو الإنسان الكامل، ثم تتوالى الدرجات بعده إلى السّادسة، وهي درجة اليونانيّ عندهم في تاريخهم القديم، وكان اليونانيّ يحمد الله أن خلقه من ذلك الجنس ...

ثم جاءت العصور الأخيرة فإذا كلُّ أمةٍ من أمم الحضارة الحديثة تزعم زعمها، وتفتخر على الأمم الأخريات ... واصبح الفخر بين الأجناس علما ... !

نعم أصبح الفخر القديم الذي نشأ من الخرافات القديمة علما جديدًا له حرمة العلوم عليك وعليّ وعلينا أن نقرَّ بها مؤمنين، ولكنَّ العلم الجديد لم يكن إلاّ صيغةً لتلك الخُرافة العتيقة ولم تكن له من نتيجة إلاّ تلك التي كان الأوروبيّون يزعمونها قبل أن يكون لهم علمٌ، وقبل أن تكون للأجناس دراسةٌ ... وهي أنّهم خيرٌ من في الوجود، وأنّ الحاكمين منهم اليوم أصلح النّاس للحكم، وهم أصلح

النّاس للدّوام فيه ... وأمّا الأمم الأخرى فلا نصيب لها إلاّ نصيب النّبعِ الذي لن يجوز له أن يطمع في المساواة الآن ولا في أيِّ زمنٍ من الأزمان.

هكذا قال العلم الحديث، والعلم الحديث صادقٌ شريفٌ فسواء قسّمنا الأمّم إلى آريةٍ وسامية أو إلى شماليّة وجنوبيّةٍ، أو بيضاء ذات ألوانٍ فالنتيجة واحدة في جميع هذه التقسيمات، وهي أن الأوربيين هم أفضل من غير وحضر، وأنّهم همُ السّادة الأعلون الذين بينهم وبين المسودين الأدنين حاجزٌ لا يعبر، وتفاوُتٌ لا تدارك له ما بقيت الأرض أرضًا، والسّماء سماءً.

لقد فعلها النّمسويُّ " فريدريك هرتز " وقال ما قال وأجره على الذي خلقه !! قال لعلماء الأجناس المتعصّبين: إنكم مخطئون جدًّ مخطئين، وإنَّ أصلاً من أصول الأمم المختلفة لا يخلو من أوشابٍ كثيرةٍ يدخل فيها شرقيُّون وغربيُّون، وإنّه ما من محمدةٍ تدعى لأوروبا إلا وللأجناس الأخرى مثيلاتها، وما من مذمّةٍ تدعى على الأجناس الأخرى إلاّ وفي أوروبا قديمها وحديثها مثيلاتها، وأيّدَ كلّ قولٍ ببرهان ...

ولا يريد " هرتز " أن يقف في الإنصاف عند شعب من الشعوب، ولا جنسٍ من الأجناس لأنّه يرى أنَّ الفواصل بين أيّ شعبين في العالم ليست من البُعد والحيلولة بحيث تستعصى على التقارب.

أفهم وأحلل : صفحة 68

أستمع إلى الخطاب بوعي :

*** أتهيأ لفهم الخطاب لأنمي فرضيتي حول مضمونه :**

1. من خلال الخطاب يحق الافتخار من الشعوب من له فضائل يدعيها وأنساب يرتفع لها والمتفردون عن صفات الناس أجمعين بالإضافة من له القوة والثروة والكلمة الغالبة ومن فقد هذه الأمور لا حق له في الفخر.
2. الأسس التي ارتكزت عليها الشعوب قديما عند افتخارها تدور حول الخرافة أما في العصر الحديث فقد ارتكزت الشعوب في افتخارها على العلم والدراسة.
3. لقد أقر الكاتب أن هذه الأسس قديمها وحديثها مغلوط فالقديم قائم على

الخرافات والحديث منها قائم على العلم ولكنه يراه في الواقع صيغة من الخرافة العتيقة وأن تلك الأسس ما هي إلا مزاعم وليست أمورا مضبوطة دقيقة.

4. الرأي رأي الكاتب فهو على صواب فيما ذهب إليه حول الأسس لأنني أراها قائمة على العرقيات وأهملت ما نزل به الوحي من رب السماء.

⏮ أستمع إلى الخطاب كله وأجيب :

1. يعتبر الخطاب افتخار الشعوب بأقوامها سلوكا قديما.
2. الذي يراه الخطاب طبيعيا أن تفتخر الأجناس بالفضائل والأنساب والقوة والثروة والكلمة الغالبة والذي يراه غريبا في افتخار الشعوب بنفسها وهي لا تملك قوة ولا مال ولا غلبة وأنا أرى أنه ينبغي للشعوب أن تفتخر بإنجازاتها وحضارتها وأخلاقها ومبادئها.
3. كان أساس الافتخار مبنيا على الخرافة قديما وأصبح مبنيا على أساس العلم وموقف الخطاب من هذه النظرة الحديثة أنها مجرد استنساخ للقديم فهو يرى العلم الجديد مجرد صيغة لتلك الخرافة العتيقة.
4. يرى العالم النمساوي " فريد ريك هرتز " أن المحاسن ليست حكرا على أروبا والمعايب ليست حكرا على الأجناس الأخرى فلكل نصيب من المحاسن والمعايب معا.
5. نعم أوافقه في موقفه فذلك من العدل ومن الحقيقة الملموسة عقلا وواقعا ولأنه لا يعقل أن يركز المحاسن والمعايب في فئة معينة.

× أحلل الخطاب وأحدد نمطه :

*** أستمع إلى هذا الجزء من الخطاب ثم أجيب :**

" الفخر بالأجناس ..... من ذلك الجنس "

1. يرجع صاحب الخطاب الفخر بالأجناس إلى العصور القديمة وقد علل نظرته تلك بعبارة : " ما من جيل .... " وعبارة " كان المصريون يرون .... " وقوله : " ... في تاريخهم القديم .... "

2. لقد استساغ صاحب الخطاب الفخر وجعله أمرا عاديا غير غريب خاصة إذا قامت المفاخرة على أسس صحيحة تصبو إلى العزة والكرامة واستعمل في ذلك الشرط.
3. نعم غير صاحب الخطاب موقفه من اللا غرابة إلى الغرابة من المفاخرة الزائفة القائمة على اللا قوة ولا مال ولا غلبة فكان رافضا لها والقرينة المستعملة هي الاستدراك " لكن ".
4. بنى صاحب الخطاب الموقف الجديد على التخمين فقال " ربما " تم الاستدلال بما كان عند المصريين القدامى.

*** الاستعانة بالجدول المرفق صفحة 69 للإجابة عن الأسئلة السابقة.**

* النمط المعتمد في الخطاب هو النمط الحجاجي ومن مؤشراته : التعليل والشرط والتدليل.